الطواف حول البحر الإرْثيري والجزيرة العربية، ترجمة السيد جاد، تعليق حمد بن محمد بن صراي، إشراف وتحرير عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧، ١٣٣ صفحة.

انطلاقًا من اهتمام دارة الملك عبد العزيز بتاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، فقد تبنت مشروعًا مهمًّا جدًّا، وهو ترجمة ما دوَّنه الكُتَّاب الكلاسيكيون (اليونان والرومان) باللغة اليونانية أو باللغة اللاتينية من معلومات عن تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها، وعن شعوبها واقتصادها، وهي حقبة تاريخية يمتد زمنها بين القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، وأسندت العمل إلى فريق من المختصين الأكفاء في الترجمة وفي التعليقات. وأثمر العمل في المشروع عن إصدار سبعة عشر كتابًا، تفاوتت أحجامها وفق غزارة المعلومات وقلتها لدى كل مؤلف. أما النصوص القليلة لدى بعض المؤلفين، فقد جُمعت وأُصدرت في كتاب واحد.

ولا شك أن الدارة أسدت خدمة جليلة لتاريخ الجزيرة العربية؛ لأن هذه المعلومات تسهم في تغطية جانب مهم من تاريخنا في حقب لم تزوِّدنا مصادرنا التاريخية بمعلومات عنها، وإنما هناك القليل من النقوش. وطبيعي أن معلومات المصادر الكلاسيكية تخضع مثل غيرها من المعلومات للنقد والتمحيص، ويُستخلص منها ما يطمئن إلى موثوقيته.

أما مؤلف كتاب **الطواف حول البحر الإرثيري والجزيرة العربية** (The Periplus Maris Erythraci)، فهويته مجهولة، ولم يكن من العلماء، مثل هيرودوت وديودور الصقلي وبليني، بل هو عامِّي، وأسلوب كتابته

يعكس أن ثقافته ضعيفة، ولكنه قام بأسفار، وسجل معلومات قيِّمة عن الموانئ والمدن التي زارها في مذكراته التي لم يتجاوز حجمها ٢٥ صفحة.

والكتاب سجل تجاري وملاحي دوَّنه المصنف وكأنه يكتب تقريرًا لجهة ما. وربما أنَّ كاتبه قصد منه أن يكون دليلاً ملاحيًّا لرواد سواحل البحر الأحمر وشرقي أفريقيا وشبه الجزيرة العربية وبلاد الهند. وهو في الوقت ذاته دليل تجاري لما يمكن شراؤه وبيعه في المرافئ والأماكن المختلفة الواقعة على تلك السواحل.

ويشير مدون هذا السجل إلى السُّلُطات التي تخضع لها هذه الموانئ، والعملات المتداولة فيها، وصفات الناس وطرق تعاملهم مع الغرباء. ويذكر البلدان الداخلية التي تمدُّ الموانئ بالمنتجات والسلع، إضافة إلى ذكره للطرق والدروب.

شغل مؤلف الطواف العلماءَ والباحثين الغربيين في العصور الحديثة حول شخصه ودوافعه لتدوين هذا السجل، والدول أو الجهات التي تقف خلفه؛ فمنهم من رآه جاسوسًا يعمل لصالح الرومان، ودوَّن هذا التقرير لهم، ومنهم من رآه تاجرًا يونانيًّا أو رُبَّان سفينة دَوَّن ملحوظاته ومشاهداته وسماعاته، وفريق آخر رآه مجرد تاجر متنقل سافر في البحر الأحمر والمحيط الهندي ممثلاً لإحدى الوكالات التجارية في بلدة بيرينيكي (برينيقي Berenike) الميناء البطلمي على البحر الأحمر.

أما عصر المؤلف، فموضوع خلاف كذلك، وتراوحت تحديدات الباحثين له بأنه يقع بين عامي ٣٠م و١٠٦م، والعام الأخير هو الذي ضمت فيه الإمبراطورية الرومانية مملكة الأنباط العربية إلى حكمها المباشر.

وذكر مؤلف **الطواف** ميناءً آخر لمصر على الساحل الغربي للبحر الأحمر هو ميُوس هُورمُوس، واسمه الآن أبو شعر قِبلي. وذكر بعض الموانئ الحبشية وتجارة العاج والفيلة ووحيد القرن، من تلك الموانئ أدوليس (وهو عدولي، الميناء الذي

رست فيه سفن الصحابة المهاجرين إلى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة).

ومـن الموانئ العربية التـي ذكرها على البحر الأحمر، الـذي يسميه الخليج العربـي (Erythra Thalassa) أفاليتـي (Avalites)، الـذي يعتقد أنها زيلع، وذكر أنه يوجد عدد آخر غيرها من المراكز التجارية، ويجلب إلى هذا المكان (أفاليتي) الأحجار الزجاجية المتنوعة، وعصير العنب اللاذع من ديوسبوليس/ طيبة (عاصمة مصـر القديمة)، والملابس البربرية المشطـة المتنوعة، والقمح والخمـر والقليل مـن القصدير، ويصدر منها عن طريـق التجار الأجانب الذين يعبرون في قوارب أوكيليس (أكيلا: ميناء في أقصى جنوب البحر الأحمر) وموزا (موزع) (Muza) على الجانب المقابل، والأعشاب العطرية، والقليل من العاج وأصداف السلاحف، والقليل من المُرّ، وسكانها بدائيون.

وبعـد مدينة الأفاليتي يوجـد مركز تجاري آخر أفضل منهـا، ويعرف باسم (مـالاو Malao)، يرجَّـح أنها مدينة بربـرة في الصومال، والسـكان المحليون مسالمون جدًّا. ويجلب إلى هذا المكان الأشياء التي سبق ذكرها، وكذلك عدد أكبر مـن القمصان الداخليـة والعباءات الخشنة المشطـة والمصبوغة من آرسينوي، (إحـدى البلدات في إقليم الفيوم)، وكؤوس الشراب، والقليل من ألواح النحاس، والحديـد، والعملـة الذهبيـة والفضيـة بكميات قليلـة. ويصدَّر من هـذا المكان أيضًـا المر والقليل من لبـان الجانب البعيد، والكاسيا الصلبة (نوع من القرفة)، والـدوراكا (نـوع رديء مـن القرفـة) والكانكامون (نـوع من اللبـان) والصمغ الهندي، وهي المنتجات التي تجلب إلى بلاد العرب.

وممـا ذكره من الموانئ (موندس Mundus)، وهي جزيرة حيس الواقعة في مواجهـة الساحل الصومـالي المطل على خليج عدن. وترسو فيها السفن؛ فهي أفضلها أمانًا، وتجلب الأشياء التي سبق ذكرها إلى هذا الموضع، ومن هناك تنقل البضائع التي سبقت الإشارة إليها وكذلك البخور.

وذكـر عددًا مـن الموانـئ والمـدن؛ مثـل (بَـرِيمDiodorus)، و(دَهْلَك

Alalaei). وانتهى بذكر بعض الموانئ في الهند؛ مثل (باربارِيكون Barbaaricon) (كراتشي)، وذكر نشاطاتها التجارية وبعض المعلومات عن سكانها.

يقتضي الواجب شكر السيد جاد على جودة الترجمة، مع العلم أنها نصوص صعبة وقابلة للتأويلات المختلفة، وأخص بالشكر المراجع حمد بن صراي، فكانت تعليقاته ثرية جدًّا، وتعد إضافة قيمة، بل هي في نظري تفوق قيمتُها النصَّ الأصلي. وأختم بشكر صاحب فكرة ترجمة هذه الأعمال والمشرف عليها؛ عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار.

أ. د. عبدالعزيز الهلابي